Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللباسين والكتان بيهود ونصارى اجتمعوا فى عيد الشعانين وعليهم عمائمهم الصفر والسود. وبينما نحن نفكر فى تلك الصورة التى تجعلنا نظن بعض الظن أننا بصدد شاعر يتعب نفسه فى صنع شعره إذا به ينقلنا فجأة إلى تشبيه زهر الفول بأم الخلول وعليها النعناع لا فوق صحن بل فوق صحنون. وهنا تأتى مفارقة ابن سودون، فهو يخلط بين الجد والهزل هذا الخلط الذى نحس فيه دائماً انحرافاً عن المنطق بل نحس فيه غفلة وتبالها، إذ نراه ينتقل من جد إلى هزل فى غير رَوِيّةٍ ولا ترتيب. وأعد النظر فى المقطوعة فإنك تراه يُشَبِّه زهر البرسيم بأبيض التوت كما يشبه سنابل القمح "بالبامية" وهى كلها تشبيهات مضحكة لأنه يعمد إلى صور بعيدة لا تفد فى العادة على أذهاننا فيقرنها بعضها إلى بعض، فإذا هى حينما تُقرَن تخرج منها ضروب من المفارقة المنطقية التى تجعلنا نضحك. وأى صلة بين الأصل والفرع المشبه به فى هذه الصور جميعاً؟ واستمر معه فستراه أثناء هزله وما يصوره من سحب الماء على الطين يدعونا إلى أن نقف معه متأملين فى هذا الماء المسلسل المنطلق الذى يجمع بين الضدين. فأين نحن؟ وما هذه الفلسفة أثناء هزله؟ ولكنها ضرب آخر من مفارقته. وأنت كلما قرأت فيه وجدت نغماً كثيراً يَنْصَبُّ من هذه المفارقة، ومن الغريب أنها تستقيم له، ولو لم يعتمد على مثل ما سبق من ضم صور متباعدة تؤدى ما يريد من هزل، فقد يكتفى بذكر الحقائق ولكنها لا تسجل فى شعره حتى نحس أنها أخذت شكلا مضحكا على نحو ما نجد فى قوله:

عجبٌ عجبٌ هذا عجبُ ... بَقَرًا تمشِى ولها ذَنَبُ
ولها فى بُزَيِّزها لَبَنٌ ... يَبدو للناس إذا حَلَبُوا
من أعجب ما فى مصر يُرَى ... الكَرمُ يُرَى فيه العِنَبُ
والنّخْلُ يُرَى فيه بَلَحٌ ... أيضاً ويُرَى فيه رُطَبُ
ووْسِيْمُ بها البرسيمُ كذا ... فى الجيزةِ قد زُرع القَصَبُ